التأويل لنص نهج البلاغة في شروح ثلاث

الاستاذ المساعد الدكتور:

حامد ناصر الظالمي

د. مرتضى عباس فالح

جامعة البصرة – كلية التربية (قسم اللغة العربية)

التأويل لنص نهج البلاغة في شروح ثلاث

الاستاذ المساعد الدكتور: حامد ناصر الظالمي

د. مرتضى عباس فالح

جامعة البصرة – كلية التربية (قسم اللغة العربية)

يتناول هذا البحث فكرة اختلاف التأويل بين شارحي نهج البلاغة وتعدد وجهات نظرهم حسب تعدد مدارسهم ومنطلقاتهم ومتبنياتهم فمن المعروف ان شروح نهج البلاغة تجاوزت المئة شرح وقراءة ولكننا هنا حاولنا ان نركز على المدارس الفكرية الاكثر شيوعاً والشراح الذين ينتمون لها.

لذا وقع اختيارنا على ابن ابي الحديد المعتزلي ت ٦٥٦ هـ ممثلاً المدرسة الاعتزالية ولابن ميثم البحراني ٦٧٩هـ ممثلاً للمدرسة الصوفية ولحبيب الله الهاشمي الخوئي ١٣٢٤هـ ممثلاً للمدرسة الامامية الاثني عشرية، هذا من جانب ومن آخر ان هذه الشروح تتسم بالسعة والشمولية في مادتها وتأويلها ومن جانب ثالث ومهم حسب ما نعتقد ان تلك الشروح كانت قد أهديت الى امراء زمانهم أو انها كُتبت بطلب او بإشارة من اولئك الأمراء الى هؤلاء الشراح.

ومن الطبيعي ان تتنوع الآراء هنا فمنها تأويل عقائدي ومنها دلالي ومنها بلاغي ونحوي وغير ذلك ولكننا هنا في هذا البحث اقتصرنا على التأويل التأريخي والمقصود به تفسير الحوادث التاريخية التي جاء ذكرها في نهج البلاغة وكيف فهما هؤلاء الشراح اذ، جاء ذكر وقائع وملاحم وشخصيات وأماكن وألفاظ تدل على واقع اجتماعي معين عاشه الامام علي فهل كان كلام الامام مقتصراً آنذاك على ما عاشه ام ان كلامه يمتد الى زمن يتجاوز زمن القول وهذا ما عرفناه في ضوء البحث وان نصوص النهج وإن أريد بها الواقعة المحددة التي جاء النص بسببها الا ان النص كذلك يتجاوز زمنه الى ما هو ابعد لذلك بقي هذا النص مدار حديث وتأويل واختلاف واتفاق ونقاش ومعارضه كل حسب ما يراه فيه وهكذا تعدد شراحه وهذا البحث نموذج.

لذلك اختلف الشراح الثلاثة في تأويل لفظة الضليل في قول الامام علي (عليه السلام) «لَكأني انظُر الى ضليلٍ قَد نَعَقَ بالشَّامِ وفَحَصَ بِرَاياتِهِ فِي ضَواحِي كُوفَان» [١] (الضليل)، اذ يرى ابن أبي الحديد : انه كثير الضلال، وهو كناية عن عبد الملك بن مروان لان هذه الصفات والإمارات فيه، أتم من غيره، لأنه قام بالشام حين دعا لنفسه، وهو معنى نعيقه وفحصت راياته بالكوفة تارة حين شخص بنفسه الى العراق وقتل مصعباً، وتارة لما استخلف الأمراء على الكوفة كبشر بن مروان أخيه وغيره حتى انتهى الأمر الى الحجاج، وهو زمان اشتداد شكيمة عبد الملك وثقل وطأته، وحينئذ صعب الأمر جدا وتفاقمت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن الأشعث فلما كمل أمر عبد الملك وهو معنى (اينع زرعه) هلك، وعقدت رايات الفتن المعضلة

---

[١] . شرح نهج البلاغة : لابن ابي الحديد : ٧/ ٩٨ .

من بعده، كحرب أولاده مع بني المهلب، وكحروبهم مع زيد بن علي(عليه السلام) وكالفتن الكائنة بالكوفة أيام يوسف بن عمر وخالد القسري وعمر بن هبيرة وغيرهم، وما جرى من الظلم واستئصال الأموال وذهاب النفوس» [1].

أما ابن ميثم فيرى أن الإمام (عليه السلام) لم يرد شخصاً بعينه كمعاوية مثلاً أو السفياني كما قيل، بل قد يريد به شخصاً آخر وهو الاحتمال الغالب على الظن [2].

والمورد الآخر الذي اختلفت فيه آراء الشراح التي اشتملت على ذكر الملاحم عندما قال «تلتف القرون بالقرون) [3] إذ ذكر ابن أبي الحديد انه وعد بظهور دولة أخرى، وقصد بذلك الدولة العباسية التي ظهرت على دولة بني أمية ومراده من القرون الأجيال من الناس، وفيه أيضاً إشارة الى ما يحصل من عمليات قتل للأمراء الأمويين وأسراهم [4].

أما ابن ميثم فلم يشر صراحة الى أن مراد الإمام (عليه السلام) بهذا القول بنو العباس بل انه أراد مجموعة من الناس، وكنى بالتفاف بعضهم ببعض عن احتمالهم في بطن الأرض، واستعار لفظ الحصد لمشابهتهم الزرع، فكنى بحصدهم عن موتهم وقتلهم [5].

ونجد اختلافاً بالتأويل بين البحراني والخوئي، في قوله (عليه السلام): «..قد خَاضُوا بحَارَ الفِتَن واخَذُوا بالبدَعِ دِونَ السّنَن» [6] فيرى البحراني :- «يحتمل أن يكن التفاتاً الى صفة قوم معهودين للسامعين كمعاوية وأصحاب الجمل والخوارج، ويحتمل أن يكون منقطعا عن كلام قبله متصلا بكلام لم يحكه الرضي (رض) واليه ذهب بعض الشارحين » [7].

أما الخوئي فيقول :- « والأظهر عندي انه متصل بالكلام السابق، ووجه نظمه انه لما امر بوجوب متابعته، وفرض طاعته وطاعة رسول الله (ص) التفت الى حكاية حال المخالفين لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والمغيرين لوصيته، والغاصبين لخلافته من الخلفاء

---

[1] . ينظر : شرح نهج البلاغة : ٧/ ٩٩ .

[2] . ينظر : المصدر نفسه : ٣/ ١٢ .

[3] . المصدر نفسه: ٧/ ٩٨ .

[4] . المصدر نفسه : ٧/ ١٠١ .

[5] . ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ١٢ .

[6] . شرح نهج البلاغة : البحراني : ٣ / ٣١٢ .

[7] . ينظر : المصدر نفسه : ٣/ ٣١٣ .

الثلاثة ومتابعتهم، وكيف كان. فتشبيه الفتن بالبحار لإهلاكها واستئصالها فمن دخل فيها يغرق كما يغرق البحر الخائض فيه» [1].

والى جانب هذا الاختلاف في تأويل بعض أقوال الأمام علي(عليه السلام) نجد أن هناك حالة من الاتفاق في تأويلات أخرى، اذ يتفق ابن أبي الحديد والبحراني في تأويلات كلامه(عليه السلام) عن الملاحم ويؤولانه : بأنه متعلق بعبد الملك بن مروان وفترة حكمه وأمرته وقصر مدتها، وانه استخدم لفظ (الاكبش) تعبيرا عن أبنائه الأربعة : الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام حيث لم يلِ الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم أربعة اخوه إلا هؤلاء، كما انه يجوز أن يعني به بني مروان لصلبه وهم عبد الملك وبشر ومحمد وعبد العزيز، وكانوا أكباشا أبطالاً فقد ولي عبد الملك الخلافة، وبشر ولي العراق، ومحمد ولي الجزيرة، وعبد العزيز ولي مصر، ولكل منهم آثار مشهورة [2].

وحول كتابه لأخيه (عقيل بن أبي طالب) عن قريش وأفعالها معه، الذي يقول في جانب منه :- « فَجَزَتْ قُرَيشاً عني الجوَازي. فقد قَطَعُوا رَحمِي وسَلَبُونِي سُلطانَ ابن امُي، واما مَا سألتَ عَنهُ مِن رَأيي فِي القِتَالِ فإنَّ رأيي قِتَالُ المُحِلِينَ حتى ألقَى الله» [3]، يقول ابن أبي الحديد : « إن هذه الكلمة تجري مجرى المثل، بمعنى صنعت لي كل خصلة من نكبة أو شدة أو مصيبة أو جائحة، أي جعل هذه الدواهي كلها جزاء قريش بما صنعت بي، وبسلطان ابن أمي يعني به الخلافة إشارة الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن مروان بن عائذ بن مخزوم. أم عبد الله وأبي طالب» [4].

ويوافقه في ذلك التأويل البحراني ولكنه يضيف على ابن ابي الحديد : « وقيل أن أمه فاطمة بنت أسد كانت تربي رسول الله (صلى الله عيه واله وسلم) إذ كفله أبو طالب يتيما فهي كالأم فاطلق عليه البنوة مجازا» [5].

أما عن قوله(عليه السلام) « لا يُنْدَبُ قَتِيلُهم ولا يُفْقَدُ غائِبهُم» [6] يرى ابن أبي الحديد ليس يريد به من يقتلونه بل القتيل منهم وذلك لان اكثر الزنج الذين أشار اليهم كانوا عبيد الدهاقين في

---

[1] . منهاج البراعة : ٩ / ٢٠٦ .

[2] . ينظر : شرح نهج البلاغة :المعتزلي : ٦/ ١٤٧ ، شرح نهج البلاغة : البحراني : ٣/ ١٧٣ .

[3] . شرح نهج البلاغة : المعتزلي : ١٦ / ١٤٨ .

[4] . المصدر السابق : ١٦ / ١٥١-١٥٢ .

[5] . شرح نهج البلاغة : ٥ / ٨٠ .

[6] . شرح نهج البلاغة : المعتزلي : ٨/ ١٢٥ .

البصرة وبناتها ولم يكونوا ذوي زوجات واولاد بل كانوا على هيئة الشطار عزابا فلا نادبة لهم وقوله «لا يفقد غائبهم» يريد به كثرتهم وانهم كلما قتل منهم قتيل سد مسده غيره، فلا يظهر اثر قتله [1].

فاتفق معه بذلك الخوئي لكنه أضاف أن هذا الكلام قد يتعلق بقائد الزنج وجيشه [2].

وفي تأويل قوله(عليه السلام) :- « أنا فَقَأتُ عينَ الفِتنَةِ» يرى البحراني انها إشارة الى أهل البصرة [3]، ويشاركه الخوئي في هذا التأويل ويضيف انه (عليه السلام) قد يريد أهل النهروان كذلك أو عموم فتن المنافقين والكافرين [4].

وفيما يتعلق بالخطب التي نقلت كلامه مع الخواج وما كان له من محاججات معهم خالصة فيما يتعلق بأمر التحكيم، ومن هذه الخطابات قوله :- « وقد كُنتُ نَهيتكُم عَن هذِهِ الحُكُومةِ فبيئُم عَلَي إباء المخَالفِينَ المنَابذينَ» [5]، إذ يقول البحراني في ذلك كأنه يقول لهم « أن كان الحق هو عدم الحكومة فلم طلبتموها وأبيتم علي إباء المخالفين المتنابذين لما نهيتكم عنه حتى صرت الى أهوائكم فيها وان كان الحق هو ايقاعها فلما شاققتموني الآن لما أوقعتها وجعلت الله عليّ بها عهداً وعلى التقديرين يلزمهما الخطأ.

وفي الموضوع نفسه يرى الخوئي ايضاً [6].

ناقش الخوئي تأويلات من سبقه من الشراح، إذ قام بمناقشة آراء ابن ابي الحديد والبحراني فعند شرحه قول الإمام (عليه السلام):- «كَأنِّي قَد نَعَقَ بالشَّام وفَحَصَ برَاياتِهِ في ضَوَاحِي كُوَفان، فَعَطفَ عَلَيهَا عَطْفَ الضّرُوس، وَفَرَشَ الأرضَ بالرّؤوس قد فَغَرَتْ فأغرثُهُ وثَقُلَتْ في الأرض

---

[1] . المصدر نفسه : ٨ / ١٢٦ .

[2] . ينظر : منهاج البراعة : ٧ / ١٤٦ .

[3] . شرح نهج البلاغة : ٢ /٣٨٧ .

[4] . ينظر : منهاج البراعة : ١٠ / ٢٠٧ .

[5] . شرح نهج البلاغة : المعتزلي : ٨/ ١٢٦ .

[6] . ينظر : شرح نهج البلاغة : للبحراني : ٢ / ٩٢ .

وطأتُهُ» [1]، يرى أن «هذا كناية عن استيلاء السفياني وتمكنه في الأرض لا عن ظلمه وجوره كما توهم الشارح المعتزلي، إذ لا ملازمة بين شغل الوطي والجور عرفا كما هو ظاهر» [2].

وحول الحكمين يناقش الخوئي رأي المعتزلي بقوله:- «أقول: أما قوله إن الحكمين لو تأملا الكتاب لوجدا فيه النص الصريح على خلافة أمير المؤمنين، فهو حق لا ريب فيه، لان الآيات الدالة على خلافته (عليه السلام) كثيرة لا تحصى، وقد مضى جملة منها في مقدمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية، وأما قوله لان فيه النص الصريح على حجية الإجماع فلا يخفى ما فيه من الخبط والخطأ، لأنه مع وجود النص من القرآن على اصل الخلافة لا داعي إلى إقامته النص على حجية الإجماع تم الاستدلال به على خلافته وإنما هو أشبه شيء بالآكل من القضاء، ولعل الشارح انما التزم به لأجل حماية الحمى، وذابا عن الخلفاء لأنه لو التزم بوجود النص على اصل الخلافة لم يجد بدا من الالتزام ببطلان خلافة المتحلفين كالالتزام ببطلان خلافة معاوية وفي ذلك إبطال ما اختار من المذهب والدين» [3].

وللخوئي مناقشة حول كلامه (عليه السلام) استعمل فيه كلمات مثل «الجفاء والعصبية والجهل وتعطيل السنة» «وقد علمتم انه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة» [4]، فيقول: أن «الأمامية تزعم أنه قد رمز بالجفاء والعصبية لقوم دون قوم إلى عمر ورمز بالجهل إلى من كان قبله، ورمز بتعطيل السنة إلى عثمان ومعاوية، وأما نحن فنرى انه عليه السلام لم يعن ذلك.

وإنما قال قولا كليا غير مخصوص وهذا هو اللائق بشرفه، وقول الأمامية دعوى لا دليل عليها ولا يعدم كل أحد أن يستنبط من كلام ما يوافق غرضه وإن غمض، وان لا يجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقة» [5]، وبخصوص قوله (عليه السلام):- «فأما شَيَطانُ الرّدهةِ فقد كُفيتُهُ بصَعقةٍ سَمعتُ لهَا وَجَبة قلبهِ ورَجّه صَدرهِ...» [6]، يطرح الخوئي هنا الآراء

---

[1] . ينظر : منهاج البراعة:١٠ /٢٠٧.

[2] . المصدر نفسه: ٨ /٣١٧.

[3] . منهاج البراعة: ١٥٦/٨، وينظر: شرح نهجة البلاغة: للمعتزلي: ٣١٨/٨.

[4] . منهاج اللبراعة: ١٥٦/٨.

[5] . المصدر نفسه: ٢٣٨/٨.

[6] . المصدر نفسه: ١٩/١٢.

التي قيلت في تأويل هذا القول ومنها أن المراد في شيطان الردهة ذو الثدية رئيس الخوارج ومنها انه أحد الأبالسة من أولاد إبليس اللعين وأما الشارح المعتزلي قال:- «ورووا في ذلك خبرا عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وانه كان: يتعوذ منه» [١]، أما الخوئي فيرى: أن «الأظهر في ذلك أن يكون المراد به شيطان الجن ويكون الإشارة بهذا الكلام ما وقع منه عليه السلام في بئر ذات العلم» [٢]، أما فيما يتعلق بالتأويلات التي انفرد بها كل واحد من الشراح الثلاثة فقد اخترنا نماذج معينة من كل شارح لتبيان ظاهرة التأويل عندهم.

فلو جئنا إلى ابن أبي الحديد لوجدنا تأويله في قوله (عليه السلام):- «الإمرَةُ عَلَى أُناسٍ وَخِيمةُ العَاقبةِ ذاتُ مَشَقَةٍ فِي العَاجلةِ فَهي في عَاجِلِها كَالماءِ الآجن يجدُ شاربُهُ مَشَقَةَ آكلها ولُقمةٌ يغصُّ بِهَا آكلُها ومجتِنِي الثمرة لغيرِ وَقتِ إيناعَها كَالزَرِعِ بغيرِ أرضِهِ» [٣] فيقول: «يغص مفتوح حرف المضارعة ومفتوح العين أصله عصصت بالكسر» «ويحتمل الأمران معاً للعاجلة لأن الغصص في أول البلع كما أن ألم شرب الماء الآجن يحدث في أول الشرب ويجوز ألا يكون الإمام (عليه السلام) قد عنى الإمرة المطلقة بل أراد الإمرة المخصوصة يعني بيعة السقيفة» [٤].

ومن تأويلاته الأخرى ما كان في قول الإمام (عليه السلام) «قَد كَانَتْ لَكُم أمورٌ مِلْتُم فِيها عَلَيّ ميلةً» [٥] فيقول:- «فمراده أمر عثمان وتقديمه في الخلافة عليه، ومن الناس من يحمل ذلك على خلافة الشيخين ايضاً، ويبعد عندي أن يكون أراده لان المدة قد طالت ولم يبق من يعاتبه...، فان هذا الكلام يشعر معاتبة قوم على أمر كان أنكره منهم، وأما بيعة عثمان ثم ما جرى بينه وبين عثمان من منازعات طويلة وغضب تارة وصلح أخرى ومراسلات خشنة ولطيفة وكون الناس بالمدينة كانوا حزبين وفئتين:- أحداهما معه (عليه السلام) والاخرى مع عثمان، فان صرف الكلام إلى ما قلناه بهذا الاعتبار أليق» [٦].

وربما يكون الإمام (عليه السلام) قد عنى بجانب من كلامه بيعة الشيخين وما جرى من أمور بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ولا سيما ان هناك الكثير من الخطب التي بين فيها هذه الامور، أما القول بطول المدة فانه لا ينفي الإشارة إلى ذلك طاعة أن أغلب الاحداث التي

---

[١] . المصدر نفسه: ٢٣/١٢.

[٢] . المصدر نفسه: ٢٤/١٢.

[٣] . شرح نهج البلاغة: المعتزلي: ٢١٤/١.

[٤] . المصدر نفسه.

[٥] . شرح نهج البلاغة: المعتزلي: ٢٧٦/١.

[٦] . المصدر نفسه: ٢٨٠/١.

حدثت نتيجة الابتعاد عنه، ومبايعة غيره، وأما قوله «وَلَمْ يَبَقَ مَنْ يُعَاتِبُهُ» فهو رأي مردود إذ هناك مجموعة كبيرة من الصحابة ما زالوا أحياء، وتصل أعدادهم إلى المئات، بل أن النسبة الأكبر منهم كانت تشكل جيشه (عليه السلام) [١].

وفي تأويل قوله (عليه السلام):- «فَأَنِّي وُلِدْتُ عَلَى الفِطرةِ، وسَبَقْتُ إلى الإيمان والهجْرةِ» [٢] يقول (المعتزلي): «إن الإمام (عليه السلام) لم يقل (سبقت كل الناس إلى الهجرة) وان قال (سبقت) فقط، ولا يدل ذلك على سبقه للناس كافة، ولا شبهة انه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة ولم يهاجر قبله إلا نفر يسير جداً وأيضا فقد قلنا انه علل أفضليته وتحريم البراءة منه مع الإكراه بمجموع أمور منها: ولادته على الفطرة، ومنها سبقه إلى الإيمان، ومنها سبقه إلى الهجرة وهذه الأمور الثلاثة لم تجتمع لأحد غيره...، وأيضاً فان اللام في الهجرة يجوز أن لا تكون للمعهود السابقة، بل تكون للجنس، وامير المؤمنين(عليه السلام) سبق ابا بكر إلى الهجرة التي قبل هجرته إلى المدينة» [٣].

ويحتمل هنا أن الإمام(عليه السلام) «لم يكن يريد الهجرة بمعناها المعروف بترك الوطن أو المدينة، بل أراد الهجرة إلى الله تعالى، وترك ذلك المجتمع الذي تسود فيه كل مظاهر البعد عن الله تعالى، وهذا المعنى نجده في خطاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عندما خاطب قومه «... إنّي مهاجرٌ إلى ربّي...» [٤].

وفي تأويله لقول الإمام (عليه السلام):- «وَلَقَد عَلِمَ المُستَحفِظُون مِن أصحَابِ مُحمدٍ (صَلى اللهُ عَلَيه وآلِهِ وسَلَمَ) » [٥] يقول ابن ابي الحديد: «يمكن أن يعني بالمستحفظين الخلفاء الذين تقدموا لأنهم الذين أستحفظوا الإسلام أي جعلوا حافظين له، وحارسين لشريعته ولحوزته ويجوز أن يعني به العلماء والفضلاء من الصحابة لأنهم استحفظوا الكتاب أي كلفوا بحفظه وحراسته» [٦].

ونعتقد هنا أنها الإشارة إلى الصحابة الذين كان لهم دور في حفظ الإسلام وتثبيت أركانه والدفاع عنه، ذلك انهم وقفوا هذا الموقف سواء في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو زمن

---

[١] . ينظر في ذلك: التاريخ اليعقوبي: ١٧٧/٢، العلل: احمد بن حنبل: ٢٨٧/١، المعيار والموازنة: الإسكافي: ٢٣.

[٢] . شرح نهج البلاغة: لابن ابي الحديد: ٥٤/٤.

[٣] . المصدر نفسه: ١٢٥/٤.

[٤] . شرح نهج البلاغة: ١٢٥/٤.

[٥] . المصدر نفسه: ٨٦/١٧.

[٦] . ينظر: المصدر نفسه.

الخلفاء من بعده، وكان مبتغاهم في ذلك هو خدمة الإسلام، ولو لا المواقف البطولية المشرفة لهؤلاء الصحابة لم يستطع الخلفاء النهوض بأعباء هذا الدين والوصول به إلى هدفه المنشود.

ولابن أبي الحدد تأويلات في كلام الإمام (عليه السلام): «إنَّما تُؤتِي الأرضُ»[١]، يقول:- «إنما تدهى الأرض من أعوز أهلها وفقرهم، والسبب الموجب لاعوازهم طمع ولاتهم في الجباية وجمع الأموال لأنفسهم، ولسلطانهم وسوء ظنهم بالبقاء ويحتمل الإمام (عليه السلام) أراد انهم يجمعون الأموال لأنفسهم ويظنون البقاء وينسون الموت والزوال، وأيضاً يحتمل أن يريد به انهم يتخيلون العزل والصرف فيتخذون الفرص ويجمعون الأموال ولا ينظرون إلى عمارة البلاد»[٢].

وفي الموضوع نفسه أي الفقر والفقراء يقول (عليه السلام):- «فإنَّ للأقصَى مِنهُم مَثْلُ الذي للأدنَى وكلٌّ قَد آسترعَيتُ حقَّهُ»[٣] وكلام الإمام (عليه السلام) هنا الإشارة إلى مبدأ المساواة في توزيع العطاء الذي اتبعه في عملية أو سياسة توزيع الأموال على المسلمين، ومعلوم أن هذه السياسة كان معمولاً بها زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلافة أبي بكر، ألا أنها تغيرت زمن خلافة عمر بن الخطاب، الأمر الذي أوجد حالة من التفاوت الشاسع بين جماعة الصحابة واحدث فجوة في المجتمع الإسلامي، ولعلها السبب الفاعل في حدث (الفتنة) زمن الخليفة عثمان، وعودة الإمام (عليه السلام) إلى هذه السياسة لم ترض فئة كبيرة من الصحابة أو من كبار رؤساء القبائل من ميل الكثير منهم إلى معاوية[٤].

وفي هذا القول هناك تأويل لابن أبي الحديد يقول فيه: أن يكون كل فقراء المسلمين سواء في سهامهم من العطاء، ليس فيها أقصى أو أدنى وان لا يؤثر من هو قريب نسبا وعلاقة، على من هو بعيد ليس له سبب أو نسب إليك، ولا علاقة بينه وبينك وان لا تصرف غلات ما كانت من الصوافي في بعض البلاد إلى مساكين ذلك البلد فأن حق البعيد عن ذلك البلد فيها مثل حق المقيم في ذلك البلد[٥].

ومن تأويلات ابن ابي الحديد ما كان في كلام للإمام (عليه السلام) يقارن فيها بين الشجرة الطيبة محمد وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) والشجرة الخبيثة (بني أمية) يقول (عليه السلام):-

---

[١] . المصدر نفسه: ٨٦/١٧.

[٢] . المصدر نفسه.

[٣] . شرح نهج البلاغة: ٨٥/١٧.

[٤] . للمزيد من التفاصيل ينظر: الغارات، الثقفي: ١٤٨/١، تاريخ الطبري: الطبري: ٥٤١/٤، الفائق: الزمخشري: ٢٩٦/١.

[٥] . ينظر: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٨٦/١٧-٨٧.

«وأنّى يَكُونُ ذلكَ كَذلكَ ومِنّا النبُّي ومِنكُم المَكذّبُ ومِّنا أسدُ اللهِ ومنّكُم أسدُ الأخَلافِ» [1]، «أي كيف يكون شرفكم كشرفنا، ومنا النبي ومنكم المكذب يعني أبا سفيان بن حرب، كان عدو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمكذب له والمجلب عليه، وهؤلاء الثلاثة أبو سفيان بأزاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعاوية بازاء علي (عليه السلام) ويزيد بازاء الحسين (عليه السلام) بينهم من العداوة ما لا تبرك عليه الإبل» [2]، وفي قوله (عليه السلام):- «ومِنّا أسْدُ اللهِ ومّنكُم أسدُ الأحلافِ» فقد عني بالأول حمزة، وفي الثاني عتبة ابن ربيعة» [3]، ويقول (عليه السلام) «ومِنّا سِيَدّا شبابِ أهل الجَنَّةِ» [4]. يعني حسنا وحسينا (عليهما السلام):- «ومِنّكُم صِبيةُ النّار» [5] هي الكلمة التي قالها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعقبة ابي ابي معيط حين قتله صبرا في يوم بدر، وقد قال «كالمستعطف من للصبية يا محمد؟ قال: النار، وقوله (عليه السلام):- «وَمّنا خَيرُ نِسَاءِ العَالمِينَ» يعني فاطمة(عليها السلام) نص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك لا خلاف فيه، «ومِنْكُم حَمّالةُ الحَطَبِ» وهي أم جميل بنت حرب بن أمية، امرأة أبي لهب الذي ورد نص القرآن الكريم فيها بما ورد» [6].

ونلحظ تأويل ابن أبي الحديد لهذا النص فيه حالة من الربط الموضوعي بين كلام الإمام (عليه السلام) والحوادث التاريخية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بمعنى هذا الكلام وهذا مما يبعث على القول أن ابن أبي الحديد قد جعل تأويلاته اكثر واقعية، فضلا عن ذلك إنها استندت إلى نصوص الآيات القرآنية وأحاديث الرسول (صلى اله عليه وآله وسلم) والسيرة مما يعطي هذه التأويلات انطباعاً تاريخياً دقيقاً.

وعند تأويله كتاب الإمام (عليه السلام) لأهل مصر بتوليه الأشتر عليهما:- «أمّا بَعد فقد بَعثتُ إليكُم عَبداً مِنْ عِبادِ اللهِ لا يَنَامُ أيَامَ الخَوفِ...» [7]، يجد القارئ لهذا التأويل طعم الثقة وحلاوة النقاش الموضوعي المشتمل على طرح السؤال والإجابة عنه وهو أسلوب دقيق وعلمي يدل على سعة الاطلاع والخلفية التاريخية الثرية.

---

[1] . المصدر نفسه: ١٨٢/١٥.

[2] . المصدر نفسه.

[3] . شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١٩٦/١٥.

[4] . شرح نهج البلاغة: ١٨٢/١٥.

[5] . المصدر نفسه: ١٩٧/١٥.

[6] . المصدر نفسه.

[7] . ينظر: شرح نهج البلاغة: لابن ابي الحديد: ١٥٦/١٦.

ومما يشار إليه هنا ان المصادر التاريخية قد ذكرت أسماء القتلة المباشرين كعمرو بن جرموز الذي قاتل فيما بعد مع أصحاب الجمل وبعدها قتل الزبير ومن ثم خرج مع الخوارج في النهروان وقتل هناك [1]، وكذلك هرقوص بن زهير من أهل البصرة من بني سعد، خرج مع الخوارج وقتل في النهروان [2].

وفيما يتعلق بقول الإمام (عليه السلام): «إن الحكمُ إلاّ للهِ» يقول ابن أبي الحديد في تأويله «أي ليس حي من الأحياء ينفذ حكمه لا محالة ومراده لما هو من أفعاله إلا الحي القيوم وحده، فهذا هو معنى خذه الكلمة، وظلت الخوارج عندها فأنكروا على أمير المؤمنين (عليه السلام) موافقته على التحكيم، وقالوا كيف يحكم، وقد قال الله سبحانه «إن الحكم إلا لله»، فخلطوا لموضع اللفظ المشترك، وليس هذا الحكم هو ذلك الحكم، فإذن هي كلمة حق يراد بها باطل لأنها حق على المفهوم الأول ويريد بها الخروج نفي كل ما يسمى حكما إذا صدر عن غير الله تعالى وذلك باطل لان الله تعالى قد أمضى حكم المخلوقين في كثير من الشرائع» [3].

وعن خطبته (عليه السلام) التي تتعلق بأبناء الأنبياء إسماعيل وإسحاق وإسرائيل وما كان عليهم من أمور العذاب، يقول المعتزلي:- «لقائل أن يقول: ما نعرف أحداً من بني اسحق وبني إسرائيل احتازتهم الاكاسرة والقياصرة عن ريف الآفاق إلى البادية ومنابت الشيح، إلا أن يقال: يهود خيبر والنضير وبني قريضة وبني قينقاع وهؤلاء نفر قليل لا يعتد بهم، ويعلم من فحوى الخطبة انهم غير مرادين بالكلام ولأنه (عليه السلام) قال: تركوهم أخوان دبر وبر وهؤلاء لم يكونوا من أهل الوبر والدبر بل من أهل المدر، لأنهم كانوا ذوي حصون واطام، والحاصل أن الذين احتازتهم الاكاسرة والقياصرة من الريف إلى البادية وصاروا أهل وبر ولد إسماعيل، لابنو اسحق وبنو إسماعيل.

والجواب: انه (عليه السلام) ذكر في هذه الكلمات وهي قوله «فآعتَبرُوا بِمَالِ ولدِ إسمَاعِيلَ وَبَنِي إسرائِيلَ، المقهُورِيْنَ والقاهِرِيْنَ جَمِيْعاً» أما المقهورين فبنوا إسماعيل وأما القاهرون فبنو إسحاق وبنو إسرائيل لان الاكاسرة من بني إسحاق ذكر الكثير من أهل العلم أن فارس من ولد اسحق والقياصرة من ولد اسحق أيضاً لان الروم بنو العيص بن إسحاق وعلى هذا يكون الضمير في (أمرهم) و(تشتتهم) و(تفرقهم) يرجع إلى بني إسماعيل خاصة، فان قلت فبنو إسرائيل أي مدخل لهم ها هنا؟ قلت: لأن بني إسرائيل لما كانوا ملوكا بالشام في أيام أجاب الملك وغيره حاربوا العرب من بني إسماعيل غير مرة وطردوهم عن الشام، ألجأوهم على المقام ببادية الحجاز، ويصير تقدير الكلام: فاعتبروا بحال ولد أسماعيل مع بني اسحق وبني إسرائيل،

---

[1] . ينظر: شرح نهج البلاغة: للمعتزلي: ٢٣٦/١، بحار الأنوار: المجلسي: ٣٣٦/٣٢.

[2] . ينظر: المصدر السابق: ٢٦٨/٢، كشف الغمة: الاربلي: ٢٦٥/١.

[3] . شرح نهج البلاغة: ١٧/١٩.

يتبع ....

فجاء بهم في صدر الكلام على العموم، ثم خصص فقال: الاكاسرة والقياصرة، وهم داخلون في عموم ولد إسحاق، وإنما لم يخصص عموم بني إسرائيل لأن العرب لم تكن تعرف ملوك ولد يعقوب فيذكر لهم أسماءهم في الخطبة بخلاف ولد إسحاق فأنهم كانوا يعرفون ملوكهم من بني ساسان ومن بني الأصقر» [1].

وعن كلام الإمام (عليه السلام) الذي يقول فيه: «للهِ بِلادُ فلان، فلَقَد قوّمَ الأوْدَ ودَاوَى العَمَدَ، وأقامَ السُّنة، وخَلَّفَ الفِتنة! ذَهَبَ نقيَّ الثوب، قَلِيلَ العيْبِ، أصابَ خَيرَها، وسَبَقَ شَرَّهَا، أدّى إلى الله طَاعَتَهُ، واتقَاهُ بحقِّهِ، رَحَلَ وتَرَكَهُم فِي طُرُقٍ مُتَشعبةٍ، لا يَهتدِي بهَا الضّالُ، ولا يَستيقِنُ المهُتدِي» [2].

يقول ابن أبي الحديد مؤولا ذلك ورادا على الشارح الراوندي «فأما الراوندي فانه في الشرح: انه عليه السلام مدح بعض أصحابه بحسن السيرة وان الفتنة هي التي وقعت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاختيار والأثرة، وهذا بعيد لان لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعاراً ظاهرا بأنه يمدح واليا ذا رعية وسيرة، ألا تراه كيف يقول:- «فلَقَد قوَّمَ الأودَ ودَاوى العَمَدَ، وأقام السُّنة، وخَلَّف الفِتنة» وكيف يقول «أصابَ خَيرَها وسَبَقَ شَرَّهَا» وكيف يقول «أدّىَ إلى الله تعالى» وكيف يقول «رَحَلَ وتَرَكَهُم في طُرُق متشعبةٍ» وهذا الضمير وهو الهاء والميم في قوله «وتركهم» هل يصح أن يعود ألا على الرعايا، وهل يسوغ أن يقال هذا الكلام لسوقه من عرض الناس وكل من مات قبل وفاة النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) كان سوقه لا سلطان له، فلا يصح أن يحمل هذا الكلام على إرادة أحد من الذين قتلوا أو ماتوا قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كعثمان بن مظعون أو مصعب بن عمير، أو حمزة بن عبدالمطلب، أو عبيدة بن الحارث، وغيرهم من الناس» [3].

أما فيما يتعلق بالتأويلات الاخرى للبحراني فمنها ما ذكره حول قول الإمام (عليه السلام) «فإنَّ الشّيطانُ كامِنٌ في كِسْرِهِ» [4]، قال:- «انه أراد بالشيطان معاوية وقيل عمرو بن العاص، وذلك أن الشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله، وكان معاوية في أصحابه كذلك عنده (عليه السلام) لا جرم أطلق عليه لفظ الشيطان...

---

[1] . شرح نهج البلاغة: ١٣/١٧١-١٧٣.

[2] . المصدر نفسه: ١٢/٣.

[3] . ينظر: شرح نهج البلاغة: المعتزلي: ١٢؟٤-٥.

[4] . شرح نهج البلاغة: البحراني: ٢/٢٤٢.

ويحتمل زيادة ان يريد الشيطان ولما كانت محال الفساد هي مظنة إبليس، وكان المضروب قد ضرب على غير طاعة الله كان محلا للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره» [1].

وفي تأويل قول الإمام (عليه السلام): «وآستَراحَ قومٌ إلى الفِتَن» [2] يرى ابن ميثم انه اشارة إلى من يعتزل الوقائع التي ستقع في آخر الزمان من شيعة الحق وأنصاره ويجد في اشتغال القوم بعضهم ببعض راحة له في الانقطاع والعزلة [3].

ويقول في تأويل قوله (عليه السلام) «وسأجهَدُ فِي أنْ أطهرَ الأرضَ مِن هَذا الشّخص المَعكُوس والجِسمِ المَركُوس حَتى تَخرجُ المدَرَةُ مِنْ بَين حَبِّ الحصيدِ» [4]، انه تواعد أن يجتهد في تطهير الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس وأراد به معاوية بن أبي سفيان [5].

وفي تأويل قول الإمام (عليه السلام) «آنتَفعُوا ببيان آللهِ وآتعظُوا بمواَعظِ آللهِ، وآقبلوا نَصيحة آللهِ، فإنَّ آللهَ قد أعذرَ إليكم بالجَلَبةِ وأخَذَ عليكم الحُجّة...» [6] وقوله (عليه السلام): «وآعلَمُوا عبادَ آللهِ أنّ المُؤمِنَ يُستَحِل العَامَ...، ويحرُم العامَ...» [7]، ويقول البحراني موردا أقوال بعض الشارحين:- «إن كلام الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة إشارة إلى أن ما تثبت من طريق النص أما السعادة التي شهد بها النص في زمان النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يجوز أن ينقض بالقياس أو الاجتهاد بل كل ما ورد به النص فيتبع به مورد النص فما كان حلالا بمقتضى النص وعمومه العام الماضي، فهو في هذا العام حلال، وكذا في الحرام وعموم هذا الكلام يقتضي عدم جواز نسخ النص وتصحيحه بالقياس وهو مذهب الأمامية لاعتفادهم بطلان القول بالقياس المتعارف ومذهب جماعة من الأصوليين مع اعترافهم بصحة القياس، ومن يجوز تخصيص به

---

[1] . المصدر نفسه: ٢٤٧/٢.

[2] . شرح نهج البلاغة: البحراني: ٢٧٣/٣.

[3] . ينظر: المصدر نفسه: ٢١٧/٣.

[4] . المصدر نفسه: ١٢٧/٥.

[5] . المصدر نفسه: ١٤٢/٥.

[6] . المصدر نفسه: ٤٣٨/٣.

[7] . المصدر نفسه.

يحمل هذا الكلام على عدم قبول القياس في نسخ النص من كتاب أو سنة، وما أحدثه الناس إشارة إلى القياس» [1].

وكانت للإمام علي (عليه السلام) مجموعة من الخطب التي يصف بها جماعات من الشخصيات بأوصاف يمكن عدها تشخيصاً وبياناً لحال هذه الجماعة، ويبدو أن الغرض من ذلك هو تحذير الأمة من الخطر الذي تشكله هذه الجماعة على مسيرة الأمة.

وفي ضوء ذلك نجد هناك بعض التأويلات التي قدمها البحراني لأمثال هذه الخطب، من بينها خطبته التي يقول فيه «فإِنَّ مِنْهم الذي (قد) شَرِبَ فيكُم الحَرامَ، وجُلِدَا حّداً في الإسْلامِ، وإنَّ منْهم مَنْ لم يُسلِم حتى رَضَخَتْ لَهُ عَلَى الإسلامِ الرضائِخُ» [2].

يشير البحراني: إلى أن الذي شرب منهم أي من هذه الجماعة في المسلمين الحرام هو إشارة إلى المغيرة بن شعبة حينما شرب الخمر في عهد عمر حين كان واليا على الكوفة، فصلى بالناس وهو سكران وزاد في الركعات، وقاء الخمر وشهدوا عليه وجلد الحد، وكذلك عنبسة بن ابي سفيان، جلده في الخمر خالد بن عبيدالله في الطائف، إما الذي لم يسلم حتى أرضخت له الرضائخ قيل هو أبو سفيان وابنه معاوية، حيث كانا من المؤلفة قلوبهم الذين يستمالون الى الدين وجهاد عدوه بالعطاء، وقيل هو عمرو بن العاص، ولم يشهر عنه مثل ذلك الا ما حكاه عليه السلام عنه من اشتراطه على معاوية طعمة مصر في مساعدته بصفين [3].

ومن كلام للإمام (عليه السلام) يشير إلى ظاهره تشخيص الأعداء فيقول (عليه السلام) «قد خَاضُوا بِحارَ الِفتنِ وأخذُوا بالبدعِ دُونَ السُّنَن» [4].

يقول البحراني في تأويل ذلك:- «يحتمل أن يكون التفاتا إلى صفة قوم معهودين؟ للسامعين كمعاوية ةأصحاب الجمل والخوارج، ويحتمل أن يكون منقطعا عما قبله متصلا بكلام لم يحكه الرضي (رضوان الله عليه) واليه ذهب بعض الشارحين، قال: وهو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان اخذ في ذمهم وعيبهم، ولفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن والحروب، وقد عرفت وجه الاستعارة قبل ورشح بذلك الخوض والبدعة قد يراد بها ترك السنة، وقد يراد بها أمر آخر يفعل مع ترك السنة، وهو الأظهر في العرف» [5].

---

[1] . المصدر نفسه: ٤٤٩/٥.

[2] . شرح نهج البلاغة: البحراني: ٢٤٨/٥.

[3] . المصدر نفسه: ٢٤٩/٥-٢٥٠.

[4] . المصدر نفسه: ٣١٢/٣.

[5] . المصدر نفسه: ٣١٣/٣.

وفي تأويل كلام الإمام (عليه السلام) وهو يتحدث عن فضائله وفضائل أهل بيته وهو جزء من كلامه السابق قال البحراني: أن الإمام (عليه السلام) «استعار لفظ الشعار لنفسه وأهل بيته ووجه المشابهة ملازمتهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) واختصاصهم به، كما يلزم الشعر الجسد، ثم ذكر كونهم أصحابا له ثم كونهم خزانة علمه، كما نقل عن الرسول (صلى اله عليه واله وسلم) هو خازن علمي وفي رواية عيبة علمي، وقيل، خزنة الجنة على معنى أن من جاء يوم القيامة بولايتهم دخل الجنة بمنع العلم وإعطائه أو بمنع الجنة بسببهم وإعطائها، كما أم الخازن كذلك ثم كونهم الأبواب أي أبواب العلم، كما قال (صلى الله عليه واله وسلم) أنا مدينة العلم وعلي بابها وأبواب الجنة على الاستعارة السابقة» [1].

وفي الإطار نفسه، يقول البحراني في تأويل قوله (عليه السلام):- «كَانت فِي أيدِينَا فَدَكٌ مِن كلِّ ما أظلّتْهُ السّماءُ، فَشحّتْ عَلَيها نفُوسُ قومٍ، وَسخَت عَنها نفُوس قومٍ آخرينَ» [2].

يقول «أشار بالنفوس التي شحت بها إلى أبي بكر وعمر واتباعهما، وبالنفوس التي سمحت بها إلى وجوه بني هاشم ومن مال ميلهم» [3].

وعن تأويل بعض الخطب التي تحدثت عن الخوارج وصفين كقوله (عليه السلام): «زمَنْ لَجَّ وتَمادى فَهُو الراكسُ الذي رَانَ آللهُ عَلَى قِلبهِ وصَارتْ دِائرةُ السَّوءِ عَلَى رَأسِهِ» [4]، يقول البحراني:- «أن الذين لجوا في التمادي فهم الخوارج الذي لجوا في الحرب واعتزلوه (عليه السلام) بسبب التحكيم، وكانت قلوبهم في أغشية الشبهات الباطلة حتى صارت دائرة السوء على رؤوسهم فقتلوا ألا اقلهم» [5].

أما الخوئي فقد كانت له بعض التأويلات المنفردة في جوانب من كلام الإمام (عليه السلام)، ولعل من ابرز ذلك ما جاء في قوله (عليه السلام): «إنَّ آللهَ سُبحانَهُ لَم يَقصِمْ جَبّاريٍّ دهرٍ قط إلاّ بَعدَ تَمهيلٍ ورخاءٍ» [6]، فيقول: أن هذا الكلام «يراد به إشارة إلى مآل معاوية وأمثاله من جبابرة

---

[1] . شرح نهج البلاغة: البحراني: ٢١٣/٣.

[2] . المصدر نفسه: ١٢٥/٥.

[3] . المصدر نفسه: ١٣٦/٥.

[4] . المصدر نفسه: ٢٤٠/٥.

[5] . المصدر نفسه: ٢٤٠/٥.

[6] . منهاج البراعة: ٢٠٢/٦.

الدهر...، والبالغين عليه من طلحة والزبير ومن حذا حذوهما من العتاة، والتنبيه على أن الله يقصم ظهرهم ويكسر صولتهم ويلبسهم ملكهم ودولتهم، وان طالت مدتهم» [1].

يرى الخوئي في قول الإمام (عليه السلام) «ولا يُتَركُوا عَقْداً إلاّ حلّوهُ وحَتَى لا يبقى بيتٌ مدرٍ ولا وبرٍ ألاّ دخلَهُ ظُلمُهُم» [2]، أن المراد «بالعقد والعهود المعاهدة بينهم وبين الناس، فالمراد بحلها نقضها، وأول ما وقع من ذلك ما كان من معاوية حيث نقض المعاهدة بينه وبين الحسن (عليه السلام) وأما العهود المأخوذة عليهم من الله تعالى وهو أحكام الدين وقوانين الشرع المبين فيكون حلها عبارة عن مخالفتها وعدم العمل بها» [3].

وفي تأويله لقوله (عليه السلام): «هَذا مَا آجتَمَعَ عَليه أهلُ اليَمن حَاضرُهَا وباديَها ورَبيعةُ| حَاضرُها وبَادِيهَا أنّهُم عَلى كِتابِ آللهِ. يَدعُونَ ويَأمرُون بهِ ويُحبُونَ مَنْ دَعَا إليهِ وأمَرَ بهِ» [4]، يذكر الخوئي انه أشار إلى محاربات وأحقاد كانت بين الفئتين القحطاني والعدناني في أيام الجاهلية، فلما قام الإسلام أماتها، ألا أنها رجعت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وبلغت اوجها بسياسة بني أمية للخلاف بين المسلمين لغرض الاستيلاء على مقاليد الحكم [5].

وفي تأويل قول الأمام (عليه السلام):- «ويَخرجُ مِن دِيلمُان بنو الصيادِ» وقوله فيهم: «ثُمَّ يَستَشري أمْرُهُم حَتَى يَملِكُوا الزّوراءَ ويَخلعُوا الخلفَاءَ» [6]، يقول الخوئي أن هذا الكلام إشارة إلى بني بويه، وكان أبوهم صياد السمك يصيد منه بيده ما يتقوتون هو وعياله بثمنه، فاخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة ونشر ذريتهم، حتى ضربت الأمثال بملكهم، وأيضا يشير إلى الصراع بينهم (والمترف بن الأجذم يقتله حتى ضربت الأمثال بملكهم، وأيضا يشير إلى الصراع بينهم (والمترف بن الأجذم يقتله ابن عمه على دجلة) وهذا إشارة إلى عز الدولة بختيار بن معز أبي الحسين، وكان معز الدولة اقطع اليد قطعت يده في الحرب، وكان ابنه عز الدولة مترفا محباً للهو والشرب قتله عضد الدولة فناصروا ابن عمه بقعر الجص على دجلة في الحرب وسلبه ملكه، فأما خلعهم الخلفاء فان معز الدولة المستكفي ورتب عوضه المطيع وبهاء

---

[1]. منهاج البراعة: ٢٠٣/٦.

[2]. المصدر نفسه: ١٠٩/٧.

[3]. المصدر نفسه: ١١٠/٧.

[4]. المصدر نفسه: ٣٥٩/٢٠.

[5]. المصدر نفسه: ٣٥٩/٢٠.

[6]. المصدر نفسه:٩٨/٧.

الدولة أبا نصر بن عضد الدولة خلع الطائع ورتب عوضه القادر، وكانت مدة ملكهم كما اخبرنا (عليه السلام) [1].

وفي تأويل خطبته (عليه السلام) التي يتحدث فيها عن الفتنة المقبلة على الأمة وما بها من القبح والخوف والجهالة «تَرِدُ عَلَيكُم فَتْنَتُهُم شوهاءَ مخشية وقِطَعاً جاهلية لَيس فِيها منارُ هدىً ولا عَلَمٌ يُرى نحنُ أهلُ بيتٍ مِنهَا بِمنْجاةٍ وَلَسنَا فِيها بِدُعَاةٍ» [2]، وهذا الكلام كما يرى الخوئي إشارة إلى «كونها قبيحة عقلا وشرعا مخوفة للنفوس، مرعبة للقلوب تكون على شكل طوائف ودفعات منسوبة إلى الجهال متصفة بالضلالة لكونها على غير قانون عدل، وما يظهر من كلام الشراح من كون المراد بالجاهلية الحالة التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ورسوله وشرايع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر والتعصب والأخلاق الذميمة، ومنها أيضا بيان لوجه الجهالة أي ليس فيها إمام هدى يهتدي به ويستضاء بنوره، ولا قانون عدل يسلك به سبيل الحق» [3].

وبخصوص الكلام على الجهالة والجاهلية، هناك تأويل آخر للخوئي عن كلام الأمام (عليه السلام) الذي يقول فيه:- «عبادَ آللهِ لا تركَنُوا إلى جهالتِكُم، ولا تَنْقَادُوا إلى أَهْوائِكُم فإنّ النازلَ بِهَذا المنزل نازلٌ بشفا جرْفٍ هَارٍ» [4]، أي لا تميلوا «إلى الأهواء الباطلة المخرجة عن كرائم الأخلاق... وعن حق المصالح إلى باطلها...، ويحتمل أن يكون المراد به من لدعى الخلافة من غير استحقاق لها الذي وضع نفسه في مقام ونزل بمنزل ليس له أهلية به ويشعر بذلك ما سيأتي منه نهيه (عليه السلام) عن الشكاية إلى من لا يقدر على إزالة الشكوى وما ذكر بعده من أوصاف الإمام الحق(عليه السلام)» [5].

ومنها أيضاً قوله (عليه السلام): «وأيمُ آللهِ لو فرّقُوكُم تَحتَ كُلِّ كَوكَبٍ لَجمَعَكُم آللهُ لشَرِّ يَومِ الهَمِّ» [6].

---

[1] . منهاج البراعة: ٩٨/٧.

[2] . المصدر نفسه: ٧٣/٧.

[3] . المصدر نفسه.

[4] . المصدر نفسه: ٢٠١/٧.

[5] . ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٣/٧.

[6] . المصدر نفسه: ٢٢١/٧.

يقول الخوئي في تأويله لذلك «ويَنتَقِمُ بسوءِ أعمَالهِم مِنهُمُ، وكنى بشر اليوم عن ظهور المسودة من أهل العراق وخرسان وانتقامهم من بني أمية وأهل الشام، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ظهور إمام الزمان (عليه السلام) وجمعهم في الرجعة والمراد جمع صنفهم» [1].

وفي تأويله بكلام للأمام (عليه السلام): «ألا وفي غدٍ – وسيأتي غدٌ بِمَا لاَ تَعرِفُونَ – يَأخذُ الوالِي مِنْ غيرِهَا عُمّا لِها عَلَى مَسَاوئ أعمَالِهَا... وتلقي إليه سلماً مقاليْدَهَا» [2]، من نهج البلاغة يقول الخوئي:- «اعلم أن هذه الخطبة حسبما ذكره السيد (ره) وأراده في ذكر الملاحم أي الوقائع العظيمة المتضمنة القتل والاستئصال واتفق الشراح على أن هذا الفصل منها إشارة إلى ظهور القائم (عج)» [3].

ولعل من التأويلات البارزة التي تميزت بكثرتها عند الخوئي هي ما كانت في أهل البيت (عليه السلام) نحو بيان فضلهم وكرامتهم، ومن بين الخطب التي تناولت هذا المعنى ما جاء في قوله (عليه السلام): «فَهُوا إمَامُ مَن آتقَى وبَصِيرَةٌ مَن آهتَدى» [4].

حيث يعني انه صلوات الله عليه واله قدوة المتقين وبصيرة المهتدين بهم في أسوة حسنة وهو «سرَاجٌ لَمَعَ ضوءُه وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وزَندٌ بَرَقَ لمعُهُ» [5] شبهه (عليه السلام) «بالسراج والشهاب والزند في كونه سبب هداية الخلق كما أن هذه الثلاثة كذلك ورشح التشبيه الأول بلمعان الضوء، والثاني بارتفاع النور والثالث ببروق اللمع ويحتمل أن يكون وجه التشبيه في الثالث إشارة أنوار الهداية» [6].

ومن التأويلات الخاصة بأهل البيت (عليهم السلام) قوله ويظهر «لكُم مَنْ يَجمعُكُم ويَضُمُّ نَشَرَكُم فَلاَ تَطمعُوا فِي غيرِ مُقبلٍ ولا تِيأسُوا مِن مُدبرٍ فإنَّ المُدبرَ عَسَى أنْ تَزلَّ إحَدى قَائمتَيْهِ» [7]، «أي

---

[1] . منهاج البراعة: ٢٢٣/٧.

[2] . المصدر نفسه: ٢١٦/٥.

[3] . المصدر نفسه: ٣٠٨/٨.

[4] . المصدر نفسه: ٧٨/٧.

[5] . المصدر نفسه٨٧/٧.

[6] . المصدر نفسه: ٨٨/٧.

[7] . المصدر نفسه: ١٢٧/٧.

تفرقكم، وأشار(عليه السلام) به إلى الإمام المنتظر اعني المهدي صاحب الزمان (عليه السلام)، وقيل أشار به إلى قائم بني العباس بعد انقضاء دولة بني أمية والأول اظهر» [١].

وأن قوله (عليه السلام) «ألا إنَّ مَثَلَ آلِ مُحمدٍ كَمثَلِ نجُمِ السّمَاءِ إذا حَوى نجمٌ طَلَعَ نَجمٌ» «أراد به الأئمة الأثنى عشر (سلام الله عليهم) وتشبيههم النجوم إما من حيث انهم يهتدى بهم في سبيل الله كما يهتدى بالنجم في ظلمات البر والبحر» [٢]، ومنها أيضاً إشارته إلى واقعة الطف «وسيوفُكُم عَلَيهم مُسلّطة وسيوفُهُم عَنكُمَ مقبوضة ألا إنَّ لكُلِّ دمٍ ثِائراً ولكُلِّ حقِّ طَالباً» [٣]، «وما كان من بني أمية وتابعيهم فيها من سفك الدماء» [٤].

وأشار إلى فضائله وكراماته يقول (عليه السلام): «اللَّهم إنِّي أولُ مَنْ أنابَ وَسمِعَ وأجابَ لَم يسبِقْنِي إلاّ رسُولُ الله (صَلّى اللهُ عليه وآله وسلم) » [٥].

يقول الخوئي: أي «رجع إليك وسمع دعوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأجاب أليه، ولم يسبقني ألا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصلاة، أما كون هذه الجملة تأكيداً لما سبق فلأنه إذا كان أول الناس إسلاما مع عدم كون الإسلام معروفاً حينئذ متوقعا به الانتفاع في الدنيا، لابد وان يكون إسلامه لله سبحانه وابتغاء لرضاه، ومن كان هذا حاله في بداية أمره كيف يخطر ببال عاقل انه يطلب الدنيا وحطامها ويجرد عليها السيف في آخر عمره، وأما كونه (عليه السلام) أول من أناب وأجاب إلى الأيمان والإسلام فهو المتفق عليه بين الشيعة والمشهور بين الجمهور، لم يخالف في ذلك إلا شرذمة منهم لا يعتد بخلافهم» [٦].

ومما أشار إليه في فضائله بقوله (عليه السلام): «وإنَّ مَعِي لبَصيرتِي ما لبّسَت ولا لُبِّس عَليَّ وإنّها للفئةُ الباغيةُ فِيها الحَما والحُمةُ والشُّبَهةُ المَغلوفةُ» [٧]، يقول الخوئي: «يحتمل احتمالا قويا أن يكون المراد انه ما لبست عليّ نفسي ولا على الناس امري وما اخبرني به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الحق بالاتباع أحق، وفي هذا الكلام تعريض عليهم بأنهم غابت عنهم

---

[١] . منهاج البراعة: ١٢٧/٧.

[٢] . المصدر نفسه: ١٣١/٧.

[٣] . المصدر نفسه: ١٣١/٧.

[٤] . المصدر نفسه: ١٨٠/٧.

[٥] . المصدر نفسه: ٢٢٩/٨.

[٦] . المصدر نفسه: ٢٢٩/٨.

[٧] . المصدر نفسه: ٣٠٨/٨.

عقولهم وتاهت حلومهم، وان ما قدموا عليه أمر ملتبس وان خروجهم إنما هو بهوى النفس والناس مدلسون ما يلبسون» [1].

ومنها أيضاً ما كان في قول الإمام (عليه السلام): «كَمْ اطْرَدْتُ الأيامَ أبحثُهَا عَنْ مَكنُون هَذا الأمر فأبى اللهُ إلاّ إخفاءَهُ» [2] ففي تأويله يقول الخوئي: «قلت: يمكن توجيهه بان يكون المراد بهذا الأمر خفاء الحق ومظلومية أهله وظهور الباطل وغلبة أصحابه وكثرة أعوانه لأنه (عليه السلام) سعى في أول الأمر في اخذ حقه غاية السعي فلم يتيسر وجرت الأمور لم يكن يخطر ببال أحد وقوع مثلها.

«وفي آخر الأمر لما انتهى إليه وحصل له الأنصار والأعوان وجاهد في الله حق الجهاد وغلب على المنافقين، سنحت فتنةالتحكيم التي كانت من غرائب الأمور، ثم بعد ذلك لما جمع العسكر وأراد الخروج إليهم وقعت الطامة الكبرى، فالمراد بالمكنون سر ذلك وسببه فظهر لي وأبى الله إلا إخفاءه عنكم لضعف عقولكم عن فهمه، إذ هي من غوامض مسائل القضاء والقدر» [3].

لعل هذا من أهم تأويلات الشارحين، مع وضوح آليات تأويلهم في ضوء هذا التأويل (التأويل التاريخي) في هذا المقام.

قائمة المصادر والمراجع

١- بحار الانوار محمد باقر المجلسي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.

٢- التاريخ احمد بن ابي يعقوب اليعقوبي تقديم السيد محمد صادق بحرالعلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف ١٩٦٤.

٣- تاريخ الرسل والملوك ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨.

---

[1] . منهاج البراعة:٣٠١/٨.

[2] . المصدر نفسه: ١١٠/٩.

[3] . المصدر نفسه: ١١٦/٩.

٤- شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد المدائني المعتزلي، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

٥- شرح نهج البلاغة كمال الدين هيثم بن علي بن ميثم البحراني، ط١، مطبعة انور الهدى، قم، ايران، ١٤٢٧.

٦- العلل احمد بن حنبل بن محمد الشيباني، تحقيق وصي الله محمود عاس، المكتب الاسلامي، بيروت، د. ت.

٧- الغارات ابراهيم بن محمد الثقفي، ط١، تحقيق عبدالزهراء الحسيني، دار الكتاب، قم، د. ت.

٨- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر بن جار الله الزمخشري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٩- كشف الغمة علي بن عيسى الاربلي، تعليق هاشم الرسولي، مكتبة بني هاشمي، تبريز، ١٣٨١هـ

١٠- المعيار والموازنة، ابو جعفر محمد بن عبدالله الاسكافي، تحقيق محمد باقر المحمودي، د. ت.

١١- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة العلامة المحقق حبيب الله الهاشمي الخوئي، صنفه المحقق حسن زاده الآملي، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣.